١

الوحدة الأولى

مفهوم التنمية، وخصائصها

أخي الطالب / أختي الطالبة:

يتوقع – بعد دراستك لهذه الوحدة – أن تكون قادراً على:

١ – بيان مفهوم التنمية في الإسلام.

٢ – الإلمام بخصائص التنمية في الإسلام.

٣ – استشعار أهمية المشاركة الجماعية في تحقيق التنمية.

مفهوم التنمية في الإسلام

۞ أولاً: مفهوم التنمية.

التنمية في اللغة العربية: مصدر نمّى، وهي تدل على الزيادة والكثرة، يقال: نميت النار تنمية: إذا ألقيت عليها حطبًا وذكّيتها به[1].

مفهوم التنمية في الإسلام: تحسين قدرات الإنسان ومهاراته المادية والمعنوية، وتطوير مجالات الحياة المتعددة، وفق شرع الله، بما يحقق الحياة الطيبة في الدنيا والثواب الجزيل في الآخرة.

۞ ثانياً: أبعاد التنمية في المنهج الإسلامي.

١ – **فالتنمية ذات بُعْدَيْنِ، أحدُهما: بشري** يعمل على رعاية الإنسان وتحسين قدراته، **والآخر بيئي**، يرمي إلى تطوير البيئة، ورفع كفايتها ليستفيد منها الإنسان.

٢ – **والتنمية ترمي إلى تحقيق غايتين: أولاهما؛ دنيوية**، تتمثل في تحقيق العبادة لله وعمارة الكون ورعاية الإنسان، **والغاية الثانية؛ أخروية**، تتمثل في نجاة الإنسان في الدار الآخرة.

وقد عَنِيْت النصوصُ الشريفةُ بالإشارةِ إلى هذين البُعْدَيْنِ وهاتين الغايتين:

فالبعد البشري متعدد المسالك، يشمل: تنمية النفس، وتنمية العقل، وتنمية المهارات، ثم تنمية المجتمعات التي هي مجموع الأفراد.

---

(١) لسان العرب، مادة «نمو».

- ففي تنمية النفس، يقول تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ (الشمس: ٩ – ١٠). قال السعدي: «وقوله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ أي: طَهّر نفسه من الذنوب، ونَقَّاهَا مِن العيوبِ، وَرَقَّاهَا بطاعةِ اللهِ، وعَلَّاهَا بالعلْمِ النافِعِ والعملِ الصالحِ ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ أي: أخفى نفسه الكريمة، التي ليست حقيقة بقمعها وإخفائها، بالتدنس بالرذائل، والدنو من العيوب، والاقتراف للذنوب، وترك ما يكملها وينميها، واستعمال ما يشينها ويدسيها»[1].
- أما تنمية العقل: فالقرآن الكريم يحث الإنسان على تنمية عقله بالتفكر والتدبر، وطلب المعرفة، وملازمة العلماء، يقول تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر: ٩)، ويقول سبحانه: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ﴾ (العنكبوت: ٢٠)، ويقول – أيضاً –: ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل: ٤٣).
- أمَّا حرصُ الإسلامِ على شمول أفراد المجتمع جميعًا في منظومته التنموية؛ فهو أمر جوهري في الشريعة الإسلامية التي عنيت بتنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع، وجعلت من الضرورات حرمة النفس والعرض والمال كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ في حجة الوداع فقال: (فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فَلْيُبَلِّغ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ)[2]، كما جعل بين المسلمين حقوقًا يلزم على كل فرد بذلها

---

(١) ينظر: لسان العرب (٩٢٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: العلم، باب: قول النبيّ ﷺ: (رُبَّ مُبَلّغ أوعى من سامع)، رقم الحديث: (٦٧)، وصحيح مسلم، كتاب: الْقَسَامَةِ، باب: تغليظ تحريم الدماء والأعراض، رقم الحديث: (١٦٧٩).

لإخوانه؛ لتحفظ بذلك على المجتمعات حياتها الصحية، وتحفظها من أسباب انهيارها، يقول تعالى: ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (الروم: ٣٨)، ويقول رسول الله ﷺ: (حق المسلم على المسلم ست، قيل: ما هن، يا رسول الله؟، قال: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فسمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه)[1].

وفي البُعْدِ البيئي للتنمية يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٣٠)، فقد بَيَّنَ تعالى للملائكةِ أنَّ الخليقة ستستمر في أطوار من الخلافة، وأنها سترث من كان قبلها من الأمم التي كانت في الأرض، وهذا البعد البيئي يؤكده بوضوح قوله تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ (هود: ٦١)، أي: «استخلفكم فيها وأنعم عليكم بالنعم الظاهرة والباطنة، ومكنكم في الأرض، تبنون وتغرسون....»[2].

***

(١) متفق عليه، ونصه عند البخاري: (حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلاَمِ، وَعِيَادَةُ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ العَاطِسِ)، كتاب: الجنائز، باب: الأمر باتباع الجنائز، رقم الحديث: (١٢٤٠)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: السلام، باب: من حق المسلم للمسلم رد السلام، رقم الحديث: (٢١٦٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (٣٨٤).

خصائص التنمية في الإسلام

يتميز النظام التنموي الإسلامي عن غيره من النظم الوضعية بمجموعة من الخصائص والسمات، أهمها:

۞ أولاً: أنها محكومة بقواعد المنهج الإلهي المنظم للسلوك الإنساني بكل أبعاده.

فهي تربط المسلم بخالقه فتجعل لحياته معنى، ولسلوكه غاية عظمى تحتاج منه إلى عمل ومجاهدة ليصل إليها، وبذلك يتنامى لدى المسلم الدافع الصحيح للتعلم والبحث والنظر، ويتحقق لديه سمو أهدافه وغايته في إحسان العمل والجد والاجتهاد في إتقانه، دون أن تفسده مطامع دنيوية أو رغبات شخصية لأن غايته ما عند الله تعالى والدار الآخرة، وتحقيق تكليف الله تعالى له بعمارة الأرض بما يرضي الخالق ﷻ الذي سيحاسبه يوم القيامة على كل أعماله في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ** ﴾ (الملك: ١٥)، قال الشيخ السعدي: «أي: هو الذي سخر لكم الأرض وذللها، لتدركوا منها كل ما تعلقت به حاجتكم، من غرس وبناء وحرث، وطرق يتوصل بها إلى الأقطار النائية والبلدان الشاسعة، ﴿ **فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا** ﴾ أي: لطلب الرزق والمكاسب. ﴿ **وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ** ﴾ أي: بعد أن تنتقلوا من هذه الدار التي جعلها الله امتحانًا، وبلغة يتبلغ بها إلى الدار الآخرة، تبعثون بعد موتكم، وتحشرون إلى الله، ليجازيكم بأعمالكم الحسنة والسيئة»[1].

ولذا فإن هذه الخاصية من أهم الخصائص التي منها **يتحقق للتنمية أهدافها وغايتها في الحفاظ على الإنسان والارتقاء به وببيئته.** قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ**

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (٥٦٣).

ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ (الأعراف:٩٦) والبركات ثبوت الخير في الشيء ثبوت الماء في البركة[1]. وقال الواحدي: «﴿ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ يريد الأمطار والخصب وكثرة المواشي والأنعام»[2].

۞ ثانياً: الارتباط بالفضل الإلهي.

فالمسلم يرى أن كل ما يحققه من تنمية في أي مجال من المجالات هو منحة من الله تعالى للإنسان، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴾ (النحل: ٥٣)؛ فالله وحده هو الخالق الوهّاب الرزّاق، الذي لا يكون في ملكه إلا ما يشاء، وأي تقدم مادي أو معنوي لابد أن يرد الإنسان الفضل فيه لله تعالى ولا يطغى أو يتجبر أو يظلم غيره، بل يخضع لله تعالى ويزداد له طاعة واستشمار النعم فيما يرضيه ﷻ وإلا تعرض لعقوبته تعالى وسخطه، ولن ينفعه ما بين يديه من نعم في دفع الهلاك عنه، قال تعالى في قصة قارون: ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾

---

(١) المفردات، للراغب الأصفهاني (٤٤).

(٢) الوسيط (٣٨٩/٢).

قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ (القصص: ٧٦ - ٧٨).

قال الشيخ السعدي رحمه الله: «﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ ﴾ ناصحين له محذرين له عن الطغيان: ﴿ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ أي: لا تفرح بهذه الدنيا العظيمة، وتفتخر بها، وتلهيك عن الآخرة، فإن الله لا يحب الفرحين بها، المنكبين على محبتها. ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ ﴾ أي: قد حصل عندك من وسائل الآخرة ما ليس عند غيرك من الأموال، فابتغ بها ما عند الله، وتصدق ولا تقتصر على مجرد نيل الشهوات، وتحصيل اللذات، ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾ أي: لا نأمرك أن تتصدق بجميع مالك وتبقى ضائعا، بل أنفق لآخرتك، واستمتع بدنياك استمتاعا لا يثلم دينك، ولا يضر بآخرتك، ﴿ وَأَحْسِن ﴾ إلى عباد الله ﴿ كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ ﴾ بهذه الأموال، ﴿ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ ﴾ بالتكبر والعمل بمعاصي الله والاشتغال بالنعم عن المنعم، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ بل يعاقبهم على ذلك، أشد العقوبة. فـ ﴿ قَالَ ﴾ قارون رادا لنصيحتهم، كافرا بنعمة ربه: ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ ﴾. أي: إنما أدركت هذه الأموال بِكَسْبِي وَمَعْرِفَتِي بوجوهِ المكاسب، وَحَذْقي، أو على علم من الله بحالي، يعلم أني أهل لذلك، فلم تنصحوني على ما أعطاني الله تعالى؟ قال تعالى مبينا أن عطاءه، ليس دليلا على حسن حالة المعطي: ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ ﴾ فما المانع من إهلاك قارون، مع مُضِيِّ عادتنا وسنتنا بإهلاك من هو مثله وأعظم، إذ فعل ما يوجب الهلاك؟ ﴿ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ بل يعاقبهم الله، ويعذبهم على ما يعلمه منهم»[1].

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (٧٧).

۞ ثالثاً: الشمولية.

فالنظام التنموي الإسلامي لا يقتصر في الحياة على جانب دون آخر، ولا يغرِق في إشباع حاجة دون أخرى، ولكنه يشمل جوانب الحياة كلها، سواءٌ أكانت روحية، أو أخلاقية، أو اجتماعية، أو سياسية، أو ثقافية، أو اقتصادية؛ لأن هذه الجوانب وفق النظرة الإسلامية تتكامل فيما بينها مكوِّنة الحياة الطيبة التي يسعى المسلم إلى تحقيقها في الدنيا والآخرة.

۞ رابعاً: المشروعية.

فقد أحاط الإسلام الجوانب التنموية المتكاملة بسياج شرعي قوي كي يضمن ألا ينحرف عن المقصد الأسمى الذي يسعى الإنسان المسلم إلى تحقيقه من الفكر والسلوك التنمويين.

وتتمثل هذا الإحاطة في خضوع أفعال الإنسان – وهي أداة التنمية – لسلطان الأحكام التكليفية الخمسة: الوجوب، والندب، والإباحة، والكراهة، والحرمة. فكل ما يقوم به الإنسان من أعمال تنموية في شتى المجالات يُشترط فيه ألا يخالف حُكْمًا من أحكام الشريعة أو مصادمته، وإلا صار هذا الفعل محرماً؛ لأنه مخالف للشريعة الإلهية التي جاءت لتحقيق المصالح، ولأنه بهذه المخالفة مظنة للمفاسد والقبائح.

ولا تعني المشروعية أن يكون كل تصرف تنموي منصوصًا عليه في الكتاب أو السنة، بل يكفي في التصرف التنموي حتى يكون مشروعا أنْ يكون غيرَ مُخَالِفٍ لأحكامِ الشريعةِ، وأنْ يكون محقِّقًا لمصالح العباد المعتبرة، وهذا يعني أن كل ما يتوصل إليه الإنسان من أفكار وخطط وبرامج تكفل تحقيق المصالح مما لا يعارض الشريعة هو سلوك تنموي شرعي.

۞ خامساً: الاستمرارية.

فالتنمية في الإسلام دائرة على مَرِّ الحياة، لا تعرف التوقف، سواءٌ أكانت على المستوى الفردي أم الجماعي، فكل فرد مطالب بمتابعة مسيرته التنموية حتى يلاقي ربَّه، يقول رسول الله ﷺ: (إن قامت على أحدكم القيامة، وفي يده فسيلة[1] فليغرسها)[2]. والناس في ميدان التنمية خلائف يُكْمل خَلَفَهم[3] ما ابتدأه سلفهم، يقول تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ﴾ (الأنعام: ١٦٥).

۞ سادساً: المسؤولية.

التنمية في الإسلام مسؤولية يتحملها جميع أفراد المجتمع المسلم ويلتزمون بالقيام بواجبهم نحوها لأن كل فرد سوف يحاسب على مسؤولياته، سواء أكانت مسؤولية تجاه الذات لقوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ (المدثر: ٣٨)، وقوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (الإسراء: ١٣ – ١٥) أم مسؤولية تجاه الآخرين كما قال ﷺ: (كلم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته)[4].

---

(١) الفسيلة: هي النخلة الصغيرة. ينظر: فيض القدير، للمناوي (٣/٣٠).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، رقم الحديث: (١٢٩٠٢). قال المحققون: «إسناده صحيح على شرط مسلم». وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٩).

(٣) خَلَفَه يخلفه صار مكانه والخلف كل من يجيء بعد من مضى. ينظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة «خلف».

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجمعة، باب: الجمعة في القرى والمدن، رقم الحديث: (٨٥٣)، وصحيح مسلم، كتاب: الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل، رقم الحديث: (١٨٢٩).

۞ سابعاً: المشاركة الجماعية.

التنمية في الإسلام مسؤولية مشتركة بين جميع أفراد المجتمع، وكل فرد يمارسها حسبما وهبه الله تعالى من المواهب والقدرات، فللمرأة دور، وللرجل دور، وللكهول دور، وللشباب دور، وللحكام دور، وللمحكومين دور، والجميع يتكاملون فيما بينهم من أجل تحقيق الغاية.

ولقد أسس رسول الله ﷺ دولته في المدينة على أسس العمل الجماعي والأخوة الإيمانية الصادقة، القائمة على التعاون على البر والتقوى، ونبذ الإثم والعدوان. فجميع أعماله العظيمة كان ينفذه مع صحابته الكرام رضي الله عنهم، ففي خبر بناء مسجده عليه الصلاة والسلام جاء فيه عن أنس رضي الله عنه: (وَأَنَّهُ أَمَرَ بِبِنَاءِ المَسْجِدِ، فَأَرْسَلَ إِلَى مَلأٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ فَقَالَ: «يَا بَنِي النَّجَّارِ ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ هَذَا»، قَالُوا: لاَ وَاللَّهِ لاَ نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ، فَقَالَ أَنَسٌ: فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ لَكُمْ قُبُورُ المُشْرِكِينَ، وَفِيهِ خَرِبٌ وَفِيهِ نَخْلٌ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقُبُورِ المُشْرِكِينَ، فَنُبِشَتْ، ثُمَّ بِالخَرِبِ فَسُوِّيَتْ، وَبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ، فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ المَسْجِدِ وَجَعَلُوا عِضَادَتَيْهِ الحِجَارَةَ، وَجَعَلُوا يَنْقُلُونَ الصَّخْرَ وَهُمْ يَرْتَجِزُونَ وَالنَّبِيُّ ﷺ مَعَهُمْ، وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لاَ خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الآخِرَهْ فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالمُهَاجِرَهْ»)[1].

وفي غزوة الخندق روى البراء بن عازب رضي الله عنه قال: (كان رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ يَنْقُلُ مَعَنَا التُّرَابَ، وَلَقَدْ وَارَى التُّرَابُ بَيَاضَ بَطْنِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: وَاللهِ

(١) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب: الصلاة، باب: هل تنبش قبور المشركين الجاهلية، رقم الحديث: (٤٢٨)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث: (١٨٠٥).

لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا، فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا، إِنَّ الْأُلَى قَدْ أَبَوْا عَلَيْنَا – قَالَ: وَرُبَّمَا قَالَ: إِنَّ الْمَلَا قَدْ أَبَوْا عَلَيْنَا – إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا، وَيَرْفَعُ بِهَا صَوْتَهُ)[1].

***

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري بنحوه في الصحيح، كتاب: المغازي، باب: غزوة الخندق وهي الأحزاب، رقم الحديث: (٤١٠٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة الأحزاب وهي الخندق، رقم الحديث: (١٨٠٣).